الارملة المرضعة

La Veuve qui allaite.

القصيدة التي القاها الاستاذ الشاعر الكبير معروف الرصافي في حفلة جمعية حماية الاطفال التي اقيمت في صباح ١١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٩

لقيتها لبشي ما كنت القاها ... تمشي وقد اثقل الاملاق ممشاها
اثوابها رثة والرجل حافية ... والدمع تذرفه في الخد عيناها
بكت من الفقر فاحمرت مدامعها ... واصفر كالورس من جوع محياها
مات الذي كان يحميها ويسندها ... فالدهر من بعده بالفقر اشقاها
الموت افجعها والفقر اوجعها ... والهم انحلها والغم اضناها
فمنظر الحزن مشهود بمنظرها ... والبؤس مرآه مقرون بمرآها
كر الجديدين قد ابلى عباءتها ... فانشق اسفلها وانشق اعلاها
ومزق الدهر ، ويل الدهر ، مئزرها ... حتى بدا من شقوق الثوب حيياها
تمشي باطمارها والبرد يلسعها ... كأنه عقرب شالت زباناها
حتى غدا جسمها بالبرد مرتجفا ... كالغصن في الريح واصطكت ثنایاها

* * *

تمشي وتحمل باليسرى وليدتها ... حملا على الصدر مد ما يمناها
قد قمطتها باهدام ممزقة ... في العين منشرها سمج ر لواها
ما انس لا انس اني كنت اسمعها ... تشكو الى ربها اوصاب رد نا
تقول يا رب لا تترك بلا لبن ... هذي الرضيعة وارحمني وایاها
ما تصنع الام في تربيب طفلتها ... ان مسها الضر حتى جف ثدياها
يا رب ما حيلتي فيها وقد ذبلت ... كزهرة الروض فقد الغيث اظماها
ما بالها وهي طول الليل باكية ... والام ساهرة تبكي لبكاها
يكاد ينقد قلبي حين انظرها ... تبكي وتفتح لي من جوهها فاها
وبلمها طفلة باتت مروعة ... وبت من حولها في الليل ارعاها
تبكي لتشكو من داء الم بها ... ولست افهم منها كنه شكواها

قد فاتها الخلق كالعجماء ارحمها ولست اعلم أي السقم آذاها
ويح ابنتي ان رعيب الدهر روعها بالفقر واليتم آها منهما آها
كانت مصيبتها بالفقر واحدة وموت والدها باليتم ثناها

* * *

هذا الذي في طريقي كنت اسمعه منها فاثر في نفسي واشجاها
حتى دنوت اليها وهي ماشية وادمعي اوسعت في الخد مجراها
وقلت يا اخت مهلا انني رجل اشارك الناس طرا في بلاياها
سمعت يا اخت شكوى تهمسين بها في قائلة اوجعت قلبي بفحواها
هل تسمح الاخت لي اني اشاطرها ما في يدي الان استرضي به اللاها
ثم اجتنبت لها من جيب ملحفتي دراهما كنت استبقي بقاياها
وقلت يا اخت ارجو منك تكرمتي باخذها دون ما من تغشاها
فارسلت نظرة رعشاء واجفة ترمي السوام وقلبي من رماياها
واخرجت زفرات من جوانحها كالنار تصعد من اعماق احشاها
واجهشت ثم قالت وهي باكية واها لمثلك من ذي رقة واها
لو عم في الناس حس مثل حسك لي ما تاه في فلوات الفقر من تاها
او كان في الناس انصاف ومرحمة لم تشك ارملة ضنكا بدنياها

* * *

هذي حكاية حال جئت اذكرها وليس يخفى على الاحرار مغزاها
اولى الانام بعطف الناس ارملة واشرف الناس من في المال واساها

مصطفى جواد

« على » في مختار الصحاح

جاء في مختار الصحاح « على : حرف خافض يكون اسما وفعلا وحرفا » فأقول إن الحرف لا يكون اسما ولا فعلا . لان « على » حرف الجر هو غير «علا» الفعل الماضي المتصرف . وقول الشاعر « غدت من عليه تنفض الطل بعد ما » معناه من « فوقه » وهو الصواب ولكن الضرورة الجأته إلى ذلك . ولو جاز ذلك في النثر لجاز لنا أن نقول «رأينا العدو فهربنا الى عنه» والسماجة في القول كالح وجهها يسيء الناظرين .

مصطفى جواد